

26

الجزء الثالث

الجزء الثالث

على أرض مدين



بقلم: أ. عبد الحميد عبد القصود

رسوم: أ. عبد الشافي سيد

إشراف: أ. حمدي مصطفى



تربى نبي الله موسى ﷺ في قصر فرعون
مصر ، حتى بلغ أشده ، وأدبه ربه بأدب الأنبياء ،
فأحسن تأديبه ، فأتاه حكما وعلما .. وقد كان
موسى نصيرا قويا لأبناء قومه من بني إسرائيل ،
ضد ظلم المصريين لهم .. فالمصريون يعرفون
أنه ابن الفرعون ، ولذلك يعملون له ألف حساب
ويخافون عظمته ..

وقد كان موسى ﷺ رجلا قويا ، لكنه كان
سريع الغضب والانفعال ، شديد البطش في لحظات
غضبه ..

وَقَدْ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ كُلَّمَا وَقَعَ عَلَيْهِمْ ظَلَمٌ مِنَ الْمِصْرِيِّينَ ، لِيَرْفَعِ الظَّالِمُ عَنْهُمْ .. وَبِرَغْمِ تَرْبِيَّتِهِ فِي قِصْرِ الْفِرْعَوْنَ فَقَدْ كَانَ مُوسَى ﷺ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ ابْنُ الْفِرْعَوْنَ ، وَإِنَّمَا هُوَ ابْنُ وَاحِدٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ نَصِيرُهُمْ ..

وَذَاتَ يَوْمٍ خَرَجَ مُوسَى مِنْ قِصْرِ الْفِرْعَوْنَ ، وَسَارَ فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ .. رُبَّمَا خَرَجَ لِلتَّنَزُّهِ ، أَوْ لِقَضَاءِ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ ، فَرَأَى مَنَظَرَ أَثَارِ غَضَبِهِ ، وَجَعَلَ الدَّمَاءُ تَتَدَفَّقُ فِي عُرْوَقِهِ بِقُوَّةٍ مِنَ الْإِنْفِعَالِ .. فَمَاذَا رَأَى ؟

رَأَى مُوسَى رَجُلَيْنِ يَتَسَاحَرَانِ .. كَانَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ مِصْرِيًّا مِنْ رِعَايَا الْفِرْعَوْنَ ، وَكَانَ الرَّجُلُ الْآخَرُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، قَوْمَ مُوسَى ..

وكان الرجل المصري يضرب الإسرائيلي
بقوة.. كان يحاول قتله.. ورأى الرجل
الإسرائيلي موسى، فاستغاث به، وناداه ليساعده
على ضرب المصري.. وتقدم موسى محاولاً
إبعاد الرجل المصري عن الإسرائيلي، ودفعه
دفعه قوية، فسقط المصري على الأرض قتيلًا..
مات الرجل المصري، ولم يكن موسى يقصد
قتله..

وقف موسى ينظر إلى الرجل القتل على الأرض
مذهولاً.. ولما أفاق من ذهوله، وذهب عنه
الغضب، ندم ندماً شديداً على تسرعه.. وبطشه
به وأرجع ما حدث إلى أنه من عمل الشيطان،
فقال:

﴿ هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين ﴾

ودعا موسى ربه قائلاً:

﴿ رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي ﴾

فاستجاب الله دعاء موسى ﷺ فغفر له ، لأنه
لم يكن يقصد أن يقتل الرجل .. ومنذ هذه
اللحظة قرر موسى ﷺ ألا يكون نصيراً
للمجرمين ..

ومضى موسى بعيداً عن مسرح الجريمة ، ومن
الواضح أن أحداً من المصريين لم يشاهد موسى ،
وهو يصرع الرجل المصري .. ولذلك أخذت
الشرطة تبحث عن القاتل لينال عقابه على هذه
الجريمة ..




ولم يعد موسى إلى قصر الفرعون مرة أخرى ،
بل بات ليلته في المدينة ، وهو خائف يترقب
القبض عليه في أية لحظة ، وتقديمه إلى الفرعون ،
لينال جزاءه ، لأنه قتل واحداً من أتباعه ..

وفي اليوم التالي ، كان موسى عليه السلام سائراً في
شوارع المدينة ، فرأى نفس الرجل من بني
إسرائيل الذي ناداه لنصرته بالأمس ، مشتبكا
في عراق مع رجل مصري آخر ..

ونادى الرجل الإسرائيلي موسى ، ليساعده في
ضرب المصري ، فتدخل موسى لفض الاشتباك
بينهما ، فظن الرجل الإسرائيلي أن موسى سوف
يبتش به ويقتله ، ولذلك خاف وصاح قائلاً :

- ما هذا يا موسى .. هل تريد أن تقتلني كما
قتلت رجلاً بالأمس ؟! هل تريد أن تكون جباراً
في الأرض ؟!

وَعَرَفَ الْمَصْرِيُّونَ الْحَاضِرُونَ أَنَّ مُوسَى
هُوَ قَاتِلُ الْمِصْرِيِّ بِالْأَمْسِ ، وَالَّذِي تَبَحْثُ عَنْهُ
الشَّرْطَةُ ، فَذَهَبُوا وَأَبْلَغُوا عَنْهُ ..

وَسَارَ مُوسَى  فِي شَوَارِعِ الْمَدِينَةِ خَائِفًا
يَتَرَقَّبُ ..

وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتُ عَلِمَتِ الشَّرْطَةُ بِأَنَّ مُوسَى هُوَ
الْقَاتِلُ الَّذِي يَبْحَثُونَ عَنْهُ لِلْقِصَاصِ مِنْهُ ، وَعَلِمَ
فِرْعَوْنُ فَأَصْدَرَ أَمْرَهُ بِقَتْلِ مُوسَى ..

وَكَانَ مِنْ بَيْنِ حَاشِيَةِ فِرْعَوْنَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ ، لَكِنَّهُ
كَانَ يُخْفِي إِيمَانَهُ ، كَمَا كَانَتْ زَوْجَةُ الْفِرْعَوْنَ
تُخْفِي إِيمَانَهَا ، خَوْفًا مِنْ بَطْشِ الْفِرْعَوْنَ .. فَلَمَّا
عَلِمَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ أَنَّ الْفِرْعَوْنَ قَدْ أَصْدَرَ قَرَارَهُ
بِقَتْلِ مُوسَى ، أَسْرَعَ يَبْحَثُ عَنْ مُوسَى فِي شَوَارِعِ
الْمَدِينَةِ ، حَتَّى عَثَرَ عَلَيْهِ فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ ،
وَأَخْبَرَهُ أَنَّ قَرَارَ قَتْلِهِ قَدْ صَدَرَ ، وَأَنَّهُمْ يَبْحَثُونَ

عنه ليقتلوه.. ونصح ذلك الرجل موسى
بسرعة الخروج من المدينة ، ومغادرتها قبل أن
يقع في أيديهم..

وأطاع موسى أمر الرجل المؤمن ، فعادر المدينة
خائفاً ، وهو يتربص أن يلقي رجال الفرعون
القبض عليه في أية لحظة.. وفي أثناء ذلك كان
يدعو الله ، طالبا منه أن ينجيه من القوم
الظالمين..

وهكذا مضى موسى عليه السلام وحيدا ، لا يحمل
شيئا من متاع الدنيا ، لكن الإيمان في قلبه كان
هو النور الذي يضيء له الطريق..

خرج موسى من مصر ، وسار في صحراء سيناء..
لم يكن يقصد مكانا محددا ، لكن هدفه كان الفرار
من فرعون وجنوده.. كانت الصحراء قاحلة ،



والرَّمالُ تَمْتَدُّ حَوْلَهُ بِلَا نِهَايَةٍ .. الشَّمْسُ حَارِقَةٌ ،
وَالطَّرِيقُ طَوِيلٌ ، وَلَا أُنَيْسَ لِمُوسَى فِي رِحْلَتِهِ إِلَّا
ذِكْرُ اللَّهِ ..

لا أحد يعلم كم من الوقت مضى على موسى
في رحلته من مصر ، حتى وصل إلى أرض مدين
جنوب فلسطين ..

كان موسى عليه السلام متعباً من أثر السير الطويل ،
وكان جائعاً وعطشان ، فجلس ليستربح .. وكان
جلوسه قريباً من البئر التي يستخرج منها أهل
مدين الماء ..

وفي أثناء جلوسه رأى موسى الرعاة من أهل
مدين ، وهم يزاحم بعضهم بعضاً من أجل أن
يسقى كل منهم غنمه وماشيته ..

ورأى فتاتين من أهل مدين تقفان بعيداً عن البئر
تحرسان غنهما ؛ حتى لا تختلط بأغنام الآخرين ..
فتعجب من أمرهما ، ونهض فسألهما :

— لماذا تقفان بعيداً عن البئر هكذا ولا تسقيان
غنمكما ؟

فردت عليه إحدى الفتيات قائلة :

- نحن ننتظر حتى ينتهي الرعاة من السقى ،
لأننا لا نحب الاحتلاط بالرجال ، ولا نقدر على
مزاحمتهم ..

وعرف موسى عليه السلام من الفتيات أنهما تقومان
برعى الأغنام ، لأن أباهما شيخ كبير لا يقدر
على الخروج للرعى .. وأنها تنظران حتى
يسقى الجميع ويصرفوا ..

فأشفق موسى عليه السلام على الفتيات ، وتقدم إلى
البئر مزاحما الرجال ، فأدلى الدلو في البئر
واستخرج الماء ، فسقى الأغنام الفتيات ..

وقادت الفتياتان أغنامهما في طريق العودة إلى دارهما ..
أما موسى عليه السلام فقد عاد إلى الجلوس تحت
شجرة مستظلا بظلها ، وهو يفكر فيما سيفعل
في هذا البلد ، ليدير حاله .. ودعا ربه قائلا :

﴿ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أُنْزِلْتُ إِلَىٰ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾

أما الفَتَاتَانِ فَقَدْ وَصَلتا إِلَى الْبَيْتِ ، فَاسْتَقْبِلَهُمَا
أَبُوهُمَا الشَّيْخُ الْكَبِيرُ مُتَعَجِّبًا وَقَالَ :

— أَرَأَيْتُمَا عِدْتُمَا الْيَوْمَ مُكْرًا ؟ !

فَقَالَتِ إِحْدَى الْفَتَاتَيْنِ :

— قَابَلْنَا رَجُلًا كَرِيمًا ، فَزَاحَمَ الرُّجَالَ وَسَفَى لَنَا ..

وَقَالَتِ الْأُخْرَى

— مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهُ عَسْرِيْبٌ ، وَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ

مَدْيَنَ ..

وَقَصَّتِ الْفَتَاتَانِ عَلَى أَبِيهِمَا مَا قَامَ بِهِ مُوسَى مِنْ

عَمَلٍ شَهْمٍ فَصَعَّجَبَ الرَّجُلُ ، وَطَلَبَ مِنْ إِحْدَى

ابْنَتَيْهِ أَنْ تَذْهَبَ وَتُنَادِيَ مُوسَى ، حَتَّى يَكْفُلَهُ

عَلَى عَمَلِهِ ..

وَصَلَتِ الْفَتَاةُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَحْلِسُ فِيهِ

مُوسَى تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَوَقَفَتْ بَعِيدًا عَلَى

استحياء ، وقالت له :

﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾

فتعجب موسى في نفسه قائلاً :

- أنا لا أنتظر أجراً على ما قُمتُ به من عمل ،

إنما قُمتُ بهذا العمل ابتغاء وجه الله تعالى ..

لكنه نهض وسار خلف الفتاة ، حتى وصل إلى

منزل والدها ..



وهناك استقبله الشيخ ، وشكره على ما قام به
 من عمل طيب .. ورأى على وجه موسى
 وملابسه غبار السفر ، فعرف أنه جائع ومتعب ،
 فطلب من ابنتيه تقديم طعام له ..
 وبعد أن أكل موسى وشرب حمد الله وشكره ،
 على هذا الرزق الذي ساقه إليه ..
 وبدأ الشيخ يسأله عن قصته ، فقص عليه موسى
 ما حدث له في مصر ، وسبب هروبه ..
 فلما انتهى من قصته طمأنه الشيخ قائلاً :
 ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾
 وهم موسى عليه السلام بالانصراف ، فقالت إحدى
 الفتيات لأبيها :
 - استأجره ليعمل عندك يا أباي ، فهو خير من
 تستأجره ؛ لأنه قوي وسيكون قادراً على رعي
 الأغنام ، وهو في نفس الوقت أمين ..
 فقال الشيخ لموسى :

- أَرُغِبُ فِي أَنْ أَزُوجَكَ إِحْدَى ابْنَتَيْ هَاتَيْنِ ،

فَمَا قَوْلُكَ ؟

فَقَالَ مُوسَى :

- كُنْتُ أَوْدُّ ذَلِكَ ، وَلَكِنْ لَيْسَ مَعِيَ نَقُودٌ لِأَدْفَعِ

لَهَا مَهْرًا ..

فَقَالَ الشَّيْخُ :

- سَأَسْتَأْجِرُكَ لِلْعَمَلِ عِنْدِي فِي مُقَابِلِ مَهْرِهَا

ثَمَانِي سِنَوَاتٍ ، فَإِنْ أَتَمَمْتَهَا إِلَى عَشْرِ سِنَوَاتٍ ،

سَيَكُونُ ذَلِكَ كَرَمًا مِنْكَ .. وَلَا أُرِيدُ أَنْ أَتَعْبِكَ ،

وَسَوْفَ تَجِدُنِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مِنَ الصَّالِحِينَ ..

فَوَافَقَ مُوسَى قَائِلًا :

- لَا بَأْسَ .. وَأَشْهَدُ اللَّهَ عَلَى هَذَا الْإِتِّفَاقِ بَيْنِي

وَبَيْنَكَ ، سَوَاءٌ قَضَيْتُ فِي الْعَمَلِ عِنْدَكَ ثَمَانِي

سِنَوَاتٍ أَوْ عَشْرَ سِنَوَاتٍ ، فَإِنَا حَرٌّ بَعْدَهَا فِي

التَّوَجُّهِ بِزَوْجَتِي حَيْثُ أَشَاءُ ..

فَقَالَ الشَّيْخُ :

أشهد الله على ذلك ..

وهكذا تزوج موسى إحدى ابنتي الشيخ ، وعاش
في أرض مدين يرعى له الأغنام .

(نَمَتْ)



قصص الأنبياء

* الكتاب التالي

موسى عليه السلام

(٤) الوادي المقدس

أدروس طبر اقتبائه